

أعضاء البيان

@ 274 @ كما أنعم عليهم بها في الدنيا في مواضع كثيرة ، كقوله : { أَلَيْسَ لِيُحْسِبُوا أَنَّ
أَزَّامَنَا نُهُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَّالٍ وَبَنَدِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ
بَلْ } ، وقوله { سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ وَأُمْلَى لَهُمْ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ } ، وقوله { وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ نَبْلُغَ
نُحْمَ لِي لَهُمْ خَيْرٌ لَأَنفُسِهِمْ إِنَّ نَبْلُغَ نُحْمَ لِي لَهُمْ لِيَزِدَّادُوا إِثْمًا
وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ } ، وقوله : { وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ
بِالَّتِي تُقَرَّرْ بَكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى } ، وقوله تعالى : { مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ
مَالُهُ وَمَا كَسَبَ } إلى غير ذلك من الآيات .

وقوله : { مُذَقَّلًا بِآ } أي مرجعاً وعاقبة . وانتصابه على التمييز . وقوله : {
لَا جِدْنَ خَيْرًا مِّنْهُنَّ } قرأه ابن عامر ونافع وابن كثير (منها) بصيغة تثنية
الضمير . وقرأه الباقون (منها) بصيغة إفراد هاء الغائبة . فالضمير على قراءة تثنيته
راجع إلى الجنتين في قوله { جَعَلْنَا لَآحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ } ، وقوله : {
وَتَحْسَبُهُنَّ أَيْقَاطًا وَهُنَّ رُقُودٌ وَنُقِلَّا فِيْهُنَّ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ
الشِّمَالِ وَكَلَّا فِيْهُنَّ بِاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ
لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعبًا } . وعلى قراءة الإفراد
راجع إلى الجنة في قوله : { وَدَخَلَ جَنَّتَهُ } . .

فإن قيل : ما وجه إفراد الجنة مع أنهما جنتان ؟ فالجواب أنه قال ما ذكره الله عنه حين دخل إحداهما ، إذ لا يمكن دخوله فيهما معاً في وقت واحد . وما أجاب به الزمخشري عن هذا السؤال ظاهر السقوط ، كما نبه عليه أبو حيان في البحر . قوله تعالى : { قَالَ لَهُ مَاحِيَةُ هُوَ يُمَاحِيهِ هُوَ أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَاطِقَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا لَّكَ مِنَ الْهُدَى اللَّيْسَ لَهُ رِبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَفَدَّ } . بين جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أن ذلك الرجل المؤمن المضروب مثلاً للمؤمنين ، الذين تكبر عليهم أولو المال والجاه من الكفار ، قال لصاحبه الآخر الكافر المضروب مثلاً لذوي المال والجاه من الكفار ، منكراً عليه كفره أكفرت بالذي خلقك من تراب ، ثم من نطفة ، ثم سواك رجلاً ، لأن خلقه إياه من تراب ثم من نطفة ، ثم تسويته إياه رجلاً ، كل ذلك يقتضي إيمانه بخالقه الذي أبرزه من العدم إلى الوجود ، وجعله بشراً سواً ، ويجعله يستبعد منه كل البعد الكفر بخالقه الذي أبرزه من العدم إلى الوجود .

وهذا المعنى المبين هنا بينه في مواضع آخر ، كقوله تعالى : { كَذِبُوا تَكَفُّرُونَ
بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمُوتَاتًا فَاذْكُرُوا يَوْمَ يُنْفَخُ الْكُفُّ ثُمَّ يُمْرَيْتُكُم ثُمَّ يُخَوِّصُكُمْ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } ، وقوله تعالى : { وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } وقوله تعالى : { قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَّا
كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَوَّلُونَ فَلَوْلَا نُهُهُمْ عَدُّوا لِيَ
إِلَاسَ رَبِّ